

بعض العوامل المؤثرة
في نمو اللغة العربية وانتشارها

أ. د. محمود قمبر
رئيس قسم أصول التربية
جامعة قطر
→

تمهيد :

كثرت الأحاديث والدراسات في هذا العصر عن وجود أزمة مرضية أصابت اللغة العربية ، فأفقدتها فاعليتها الوظيفية وحيويتها الثقافية في خلق الأفكار ، والتعبير عنها ، والتعامل بها مع الآخرين .

ومع إقرارنا بوجود ظواهر لعلل مرضية تعاني منها لغتنا العربية ، إلا أن هذه الظواهر أو العلل لا تعبّر عن أزمة لغة شاخت وانهارت ، بقدر ما تعبّر عن أزمة نمو ، تعاول معها أن تسترد عافيتها ، وتجدد شبابها ، وتدخل مع لغات العالم الحية في منافسة حامية من أجل التوسيع والانتشار .

وسوف نكشف من خلال دراستنا لمسار التطور التاريخي للغة العربية عن حقيقة هذا النمو الذي ارتقى بالعربية بعد فترة ركود وانحطاط .

وإذا كانت للعربية مشكلات تؤزمها ، فإن أكبر مشكلاتها لا ينحصر فقط في إطار تعليم مدرسي أو جامعي ، فهذه المشكلات في نظرنا هيئنة ويمكن التغلب عليها بسياسة تربوية وعلمية رشيدة على النحو الذي توصله دراسات هذه الندوة .. وإنما تتعد مشكلات اللغة الحقيقة في عوامل خارجية ذات طبيعة سياسية وثقافية واجتماعية ، تتجاوز بكثير ما يقال عن خطورة القصور في فنيات وأساليب تعليم العربية محتوى وطريقة وتأهيلها .

ومهاجمة هذه العوامل في صعيدها المجتمعي من أجل تنحية سلبياتها المؤثرة أو المعاقة لنمو وانتشار العربية في المجتمع ، هي التي تؤدي بنا في النهاية إلى ترقية العربية في المدرسة والجامعة ، فمؤسسات التعليم لاتعمل في فراغ ثقافي ولا هي محصنة ضد مؤشرات الضعف اللغوي في المجتمع ، إذ هي في واقع الأمر مؤسسات اجتماعية ، وتعكس حالة التقدم أو التخلف في المجتمع ، وتتبادل معه في تفاعل وظيفي كل عوامل التأثير والتأثير .

١- سلطة عربية مستنيرة :

تشهد لنا وقائع التاريخ أن نمو اللغة العربية إنما تم بفضل وجود حماية سلطات عربية مستنيرة ، محبة للعلم والحضارة ، كان لها جهد كبير ومشكور في نشر وترقية وتعليم العربية في جنبات العالم الإسلامي لقرون تعاقبت ومشت معها أجيال وحدها لسان عربي ، كان لسان الدين ورباط المسلمين .

كان الخلفاء الأول مهتمين بتعليم العربية لكل الأجناس الداخلة في الدين ، بنفث القدر الذي دفعهم إلى تعليم أصول الدين : عقيدة وفقها وكتاباً وآداباً : أرسلوا القراء والفقهاء إلى الأمصار ، وأنشأوا الكتاتيب لتعليم الصغار في كل صقع ومكان ، ونشروا حلقات العلم بالمساجد للكبار ، بل وشجعوا فيما بعد سياسة نشر المدارس الفقهية لتعليم اللغة والدين .

وارتبطة العربية - كلغة علم وتعليم - بالدين ودخلت به في كل إقليم شرقاً كان أو غرباً واكتسبت من ارتباطها به قداسة وشرفاً جعلاها فوق كل لغة . يقول عمر بن الخطاب محرضاً المسلمين الجدد من الفرس على تعلم العربية ومحذراً من التحدث بالفارسية : " ما تكلم أحد بالفارسية إلا خب (أى خدع وأفسد) ، ولا خب إلا ذهبت مروءته " . (١)

" وصار استعمال اللسان العربي - كما قال ابن خلدون - من شعائر الإسلام وطاعة العرب " (٢) وذلك عندما ساد العنصر العربي ونشر حكمه في المالك الإسلامية التي هجرت لغاتها . ولم يكن العرب الفاتحين ليخلوا بلغتهم ، فهي لغة الدين الذي جاهدوا في نشره ، وهي الرباط الذي يؤلف بين أجناس الأمة الإسلامية ، قال رسول الله (ص) : " أيها الناس : إن الله واحد ، والآب واحد ، وليس العربية بأحدكم من آب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي " . (٣)

ولأن العربية وعلومها كانت الأدوات الضرورية والمقدمات الأساسية لفهم وتحصيل علوم الدين ، فقد ارتفعت اللغة إلى مستوى الدين ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء " لعلم العربية هو الدين بعينه " . (٤)

وقد أورد السيوطي في الجامع الكبير حديث : " تعلموا اللحن (أى النحو) فيه (أى القرآن) كما تعلمون حفظه " (٥) وكان عمر بن الخطاب يأمر الناس قائلاً : " تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض " . (٦) وكتب إلى أبي موسى الأشعري : " أما بعد ، فتفقهوا في السنة وتعلموا العربية " . (٧)

وانتشرت اللغة العربية في الامصار المفتوحة في ظل السلطة العربية الحاكمة تبعاً لسياسة إنسانية رشيدة ، فالخلفاء قربوا إليهم العلماء من كل جندي ودين ، وشجعوا حركة الترجمة إلى العربية والتاليف بها ، وفرغوا الناس لطلب العلم ، وأحسنوا إليهم ، وجعلوا للتعليم نظماً مفتوحة ، تتسع لكافة الناس عامتهم وخاصتهم ، وكلها أو معظمها مكفولة النفقات ، ميسرة التحصيل .

لم يفرضوا العربية بقوة الحديد والنار ، كما فعلت قوى الاستعمار الغربي في كثير من البلاد التي احتلتها ، وإنما تركوا للدين مهمة تحبيب الناس في لغته التي نزل بها القرآن ، وصيغ فيها الحديث . وتدرجوا مع الداخلين في الإسلام دون إعنان أو إكراه حتى تركوا لسانهم القومي ، واتخذوا العربية ، حباً وإعزازاً ، لغة الدين والعلم والثقافة ، وهكذا اكتسحت العربية معاقل اللغات الفارسية والتركية والقبطية والسودانية والبربرية واللاتينية وغيرها ، وأصبحت اللغة الوحيدة التي سادت في عالم الإسلام .

وأخذ ذلك وقتاً اختلفت مدة مع كل قوم جدد اعتمدوا الإسلام . وكان لها من القوة والرسوخ بمقدار ما جمع العرب في سلطتهم من الدين والعلم والحضارة . فلما اهتزت سلطتهم ، وخا الواعز الديني ، وانتكست رايات العلم ، وغربت شموس الحضارة ، قدر للعربية أن تشهد انحساراً وانكساراً ، وظهرت عليها لغات أعممية لقوم مسلمين، أصبحت لهم سلطة وطنية أو نعمة قومية .

وفيما يتصل بنمو العربية فإن أحد النصوص التي ترجع إلى القرن الثاني من الهجرة تشير بوجود أحد العراقيين كان يفسر القرآن للعرب والفرس باللغتين العربية والفارسية . (٨) ولم تلبث العربية طويلا حتى تغلبت على الفارسية وأخرجتها من مجالات العلم والإدارة لدرجة أن العجم أجادوا اللسان العربي والفوا به ووضعوا كتبها ومناهج ، وحملوا العبء الأكبر في التأليف والتبويب . بل " انتشرت اللغة العربية في جميع نواحي آسية فحلت محل اللغات القديمة نهائيا ". (٩) ولم تكن تخشى من لغة منافسة طوال أربعة قرون ، تفردت فيها كلغة التراث الإسلامي الوحيدة ، تم بدأن الفارسية الجديدة في الظهور كلغة قومية في عهد الدولة السامانية ، فالسامانيون تذكروا لأول مرة " شرف لسانهم القومي وعظمته " كما يقول بروكلمان ، ولقحوا إرثهم الأدبي وجددوا لغتهم التي تخلصت تدريجيا مع الإسلام " من علامات الإعراب التي كانت في الإيرانية ، كما نمت ثروتها من المفردات نموا عظيما باقتباس الآلاف العديدة من العربية حتى أصبحت الفارسية الجديدة أروع من أمها الإيرانية ". (١٠)

لكن العربية - في حقول المعرفة العلمية الخالمة - احتفظت بموقعها ومكانتها . فابن سينا بدأ إنتاجه في عهد نوح بن منصور الساماني ، ثان من الأمراء السامانيين ، ووضع بالعربية مؤلفاته في الفلسفة ، وكتابه القانون . (١١) أما في المجال الأدبي ، والاتصال المحلي . فإن الفارسية ظهر لها دور وظيفي . ولقد نظم بها الفردوس م ٤١١ هـ القسم الأول من شاهنامته ، والتي أصبحت عند الفرس كالبيادة هوميروس عند اليونان ، وكان ذلك بتشجيع من السامانيين ، ثم أخذت اللوان الأدب الفارسي في الظهور والتنوع . وهكذا أصبح للتراث في بلاد فارس لغتان ، عربية وفارسية : عربية في العلوم والتاريخ ، وفارسية في الأدب والتعامل . ومن يتتبع ابن حوقل في رحلته عبر الأقاليم الفارسية يجد هذه الأزدواجية اللغوية . (١٢)

ودخلت الفارسية مع الغزو التركي ثم المغولي إلى الهند ، وظهرت لغة جديدة هي الأردية ، منبثقه عن اللغة المحلية لإقليم دهلي ، ومطعمة بكلمات وجمل فارسية ، بعد أن طعمت من قبل بالعربية (١٣) لكن الأردية لم تبلغ مستوى الفارسية كلغة علم وأدب ، بل لقد نافستها وهزمتها الفارسية في أرضها وبين أهلها ، حين أصبحت في فترة استثنائية قصيرة لغة علمية بدهلي خلال حكم أباطرة المغول . (١٤)

ولما ظهر الجنوبي على مسرح الحكم وسير الاحداث السياسية والعسكرية ، ظهر اللسان التركي بجانب العربية والفارسية . وكان ظهوره ضعيفا ، ونموه بطينا ، حيث احتفظ العثمانيون فترة طويلة من الزمان باللغة الفارسية في التاريخ والأدب . حتى إن السلطان سليم الأول نفسه نظم ديوانا كبيرا بلغة الفرس ، ثم قرأت لغتهم الوطنية وقد تلقيت تلقيا كاما بالالفاظ والتراتيب العربية والفارسية . (١٥) وكان أترالك الروم أول من تركوا العربية وصنعوا تواريخهم باللغة العثمانية ، وإن ظلت العربية اللغة السائدة في العلم والتأليف والتعليم . ولكن لم يلبث ذلك الوضع طويلا ، فأخذت العربية في الضعف والانحسار بأرض الروم . وكان لأنى عالم مسلم يريد العمل بالمدارس العثمانية في أرض الترك ، أن يجيد اللسان التركي ، حيث أصبح تعلم التركية امتيازا وأداة ترقية ، ولم يعد تعلم العربية يكب الشرف والمجد ، ثم تغلبت التركية على العربية ، ثم تجاوزتها وأخرجتها من بلادها ، وأصبح كثير من علماء ومدرسي الترك جاهلين باللسان العربي . يقول شمس الدين محمد بن طالون م ٩٥٣ : " وذهب إلى وطاق الخنكار (أى السلطان العثماني سليم خان فاتح الشام في ٩٢٢) قاصدا الاجتماع بالمدرسين الذين معه ، ويقال إن عدتهم ستة وثلاثون مدرسا حنفيا ، فلم يتيسر ذلك لعدم المعرفة بلسانهم ". (١٦) بل وجد من العلماء العرب من يجيد التركية " ويتبين بها إزراء بابناه العرب وهو ليس إلا منهم " . (١٧) وكان ذلك يتعشى مع اتجاه السلطة في فرق سياستها الخاصة بتترنح العرب ، وهي سياسة كثيرة ما انتقدتها جمال الدين الأفغاني .

يقول دشيد رضا : " الغلطة التاريخية للحكومة العثمانية في إمبراطوريتها أنها جعلت التركية اللغة الرسمية للبلاد مخالفة بذلك من سبقتها من الحكومات كدولة المصامدة البربر في المغرب ، ودولة الجراكسة في مصر والشام ، ودولة آل سلجوق التركية في العراق والجزيرة ، ودولة بنى بويه الفارسية ، ودولة آل أيوب الكردية في مصر والشام ، وهذه الحكومات تركت لغاتها مختارة لاستعمال العربية لغة البيان والعلوم . ولما جاء السلطان سليم فاتح مصر والشام ، وكان يعرف العربية ويحسن الفارسية أراد جعل العربية اللغة الرسمية ، فقام عليه أهل دولته " . (١٨)

ولكن العربية لم يقدر لها أن تنحصر في بلاد الترك العثمانية فقط بل أخذت في الانحسار كذلك في بلاد فارس وما وراء النهر وفي أرض الهند والسندي ، وهجرت ، كما قرر ذلك ابن خلدون " وصارت العلوم تكتب باللسان العجمي وكذلك تدريسه في المجالس " . (١٩) وهذا ما سبق أن أكدته ابن بطوطة في رحلته التي قام بها سنة ٧٢٥ هـ حين وجد أن لغة التدريس في كل مدارس وزوايا فارس إنما هي باللغة الفارسية . (٢٠)

وهكذا اندثرت العربية في تلك الأقاليم والتي كانت بها لغة الشارع ولغة العلم والتعليم ، وأصبحت في حال يخشى عليها فيها من الضياع حتى بين أهلها . يعلل ابن منظور م ٧١١ هـ سبب تأليفه لمعجمه المشهور " لسان العرب " ، فيقول : إنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان ، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا . وتنافى الناس في تصنيف الترجمات في اللغة الأعجمية وتفاصلوا في غير اللغة العربية . فجمعوا هذا الكتاب في زمن أهله بغير لفته يفخرون ، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون " . (٢١)

أما عن العربية في مصر ، فإنها انتشرت بدخول الإسلام ، وتحول المصريين إلى ديانته ولكنها لم تستطع القضاء على القبطية في عصورها الأولى ، فحتى القرن الرابع الهجري كانت هذه اللغة القبطية لا تزال سائدة في حياة العامة ، ولها أغانيها الشعبية . والمقدسى م ٣٧٨ هـ يقرر هذه الحقيقة فيقول عن لغة المصريين : " لغتهم عربية غير أنها ركيكة رخوة ، وذمتهن يتحدثون بالقبطية " . (٢٢) ثم أخذت القبطية تنزوى من أركان الحياة الشعبية ، ولم تعد غير مجرد لهجة دينية طقوسية محصورة داخل الكنائس . وكان القساوسة يتكلمونها بصعوبة ، وإذا أرادوا أن يعبروا بشكل مفهوم كانوا يستخدمون العربية . وفي القرن السادس الهجرى كانت القبطية تشهد عصر احتضارها ثم اختفت في العصر المملوكي حيث نجد ازدهار الأدب العربي المسيحي الذي يكتبه القبط بالعربية في القرن السابع الهجرى بعد أن نسوا لهجتهم القبطية تماما . (٢٣)

وهكذا انتصرت العربية في مصر والشام في الوقت الذي اختفت فيه أو
كادت في البلاد الفارسية والعثمانية .

اما في الأندلس ، نجد أن العربية شهدت انتشارا سريعا نظرا لقيام
دولة اموية قوية ووجود جاليات عربية كبيرة ، وظهور علماء ، أفاضل وشعراء ،
وأدباء الفوا بها روائع الكتب . وكانت العربية بالنسبة لجميع الأجناس
اللغة الرسمية في دوائر الحكم والعلم . وانحسرت أمامها اللاتينية التي
انزوت من الحياة العامة وانكمشت داخل الكنائس بعد أن دخلت عليها تغيرات
شعبية . وجاء يوم كان المسيحيون بالأندلس يهملون الكتاب المقدس
باللاتينية ويتعلمون الآداب العربية ويحاكونها ويؤلفون بها ، وأصبحت
العربية لغة المستعربين . ولقد توجع لذلك البارو القرطبي في القرن
التاسع الميلادي ، فقال في كتابه " الدليل المنير " : "... لا يعرف جميع
شبان النصارى الذين يمتازون بنبوغهم ، غير اللغة العربية وآدابها ، وهم
يطالعون الكتب العربية ويدرسونها بأعظم حماسة ، وهم ينشئون لأنفسهم
مكتبات منها بنيقات كبيرة معلنتين في كل مكان أن هذه الآداب تشير
العجب .. واحسناه ! . لقد نس النصارى حتى لسانهم الديني ، فلا تقادون
تجدون بين ألف منا واحدا يعرف أن يكتب رسالة باللاتينية .. (بل يصبح)
قادرا على نظم قصائد بالعربية أفضل مما ينظم العرب أنفسهم من الناحية
الفنية ". (٢٤)

ومع العربية الفصحى في الأندلس شاعت اللهجة الرومانشية ، وقد
تسمى " اللطينية " وهي اللغة العالمية التي كان يتكلم بها مسلمو شبه
الجزيرة وهي متفرعة من اللغة اللاتينية الایبرية . وكان من النادر الا
يتكلم بها عربي أو مستعرب . ولهذا قال ابن حزم متتعجبًا من قبيلة " بلي "
ودارهم في الموضع المعروف باسمهم في شمال قرطبة : " لا يحسنون الكلام
باللطينية لكن العربية فقط : نساوهم ورجالهم " . (٢٥)

وهكذا وجدت ازدواجية لغوية ، ونشأ عنها نوع جديد من الادب الغنائي عرف باسم الموشحات والازجال مزيج من العربية واللطينية . ولكن مع شيوخ اللهجة العامية فإنها لم تمن عراقة وسيادة وصحة العربية الادبية . (٢٦) التي ظلت لغة التراث العلمي حتى خروج العرب من شبه جزيرة ايبيريا وزوال وجودهم منها . وعندما خرجت العربية مع أهلها من الاندلس فإنها تركت بصماتها قوية ومؤثرة في لغات هذه البلاد كالقطلونية والقشتالية والبرتغالية . وأثرت الاسانية بدورها بكلماتها العربية المؤسبة في اللغة الفرنسية وبالذات في أسماء الاماكن والنباتات والفاواكه والرى والموازين وقص الشعر والملابس والاحذية وغيرها . (٢٧)

واليوم وقد استردت البلاد العربية حريتها واستقلالها ، وأصبحت لها سلطان وطنية غبورة على دينها ولغتها ، فإن العربية تشهد من جديد موجة انتشار ، فهي اللغة الرسمية في المدارس والجامعات ومؤسسات الدولة ، كما أنها أصبحت لغة عالمية توصل لها مكانا محترما بين لغات العالم الكبير في منظمات وهيئات الامم المتحدة . وتقسم الحكومات العربية لإسهامات مشكورة في فتح مدارس لتعليم العربية لغير الناطقين بها سواء في بلادها أو في البلاد الأجنبية الشرقية والغربية . وتقدم بسخاء منحا دراسية لغير العرب الراغبين في تعلم العربية أو الدين .

ومع ذلك فهذه الجهود والإسهامات لم تصل بعد إلى حد التشبع أو المنافسة التي تقف بها على قدم المساواة مع أصحاب اللغات الأخرى الأكثر توسيعا وانتشارا في جنبات العالم كالإنجليزية أو الفرنسية ، وذلك لأن الجهود السياسية لا تكفي وحدها في ترقية ونشر اللغة ، وإنما هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن تلك مسئولة عن هذا التوسيع والانتشار .

٢ - ثقافة عربية مبدعة :

لم تكن اللغة - آية لغة - إلا لهجة خاصة تسود مع ثقافة خاصة في بيئه محلية لها امتيازاتها الحضارية التي تؤثر في تشكيل ونمو هذه اللهجة التي تتحول مع سيادة أهلها وازدهار حضارتهم إلى لغة قوية خلاقة.

فالعربية لم تكن في بدايتها إلا لغة قرشية أو حضرية ، وقد نشأت كأخت صغرى للحميرية أو كفرع منها " ونما الفرع وامتد شعبه حتى تغلب على أصله ومحاه من لوح الوجود ، كما فعل الأصل نفسه بأصله ، حيث كانت عربية اليمن الحميرية مشتقة من السامية ، ونشأت لغة قحطانية جديدة ، وابتعدت عن الأم أو الأصل السامي ، وأصبحت لغة كأنها ليست من سلالتها ولا من جنسها ". (٢٨)

ولسيادة قريش ثقافياً وأدبياً ودينياً واقتصادياً بين القبائل العربية ، سادت لغتها . ولم يكن عيناً أن اختار الله سبحانه هذه اللغة لتكون وعاء كتابه ، ولسان رسوله ، ولغة الصلاة عند كل مسلم ، " فلهذه اللغة من الفضيله - كما يقول الماوردي - ما ليست للغة من اللغات من الفصاحة والبيان والطلاؤ على اللسان ، والحلاؤ في الاسماع والأذان ، وكثرة التصاريف ، واحتمال المقايبين النحوية ، وسعة الالفاظ ، وتوسط العروض بين القلة والكثرة ، وأشباه هذه الحال ما لو تعلمت تجملاً ، واستفیدت تعجباً وكانت لذلك موضعاً . ولهذه كانت ملوك العجم يتعلمونها ، فإن كثيراً منهم يستعملها في أوقات حفله ومجالس زينته ". (٢٩)

وساعدت اللغة القرئية طبيعتها الخاصة هذه والتي تتميز بها على غيرها ، مما جعلها جديرة بحمل ثقافة عربية خصبة نعمتها ونمطها . وهكذا تطورت العربية مع كل تطور حضاري ، " وتكاثرت حتى بلغ عدد كلماتها (بفضل ما تتمتع به من اشتغال وتوليد) ١٢٣٥٠،٥٢ كلمة طبقاً لتحديد حمزة الأصفهاني ، وذلك ما بين مشتق واسم جامد وعلم شخص . أما المشتقات المحضة فقد بلغت سبعين ألف كلمة ". (٣٠)

وبهذه القدرة اتسعت لكل معطيات الثقافة في مجالاتها المختلفة من دينية وأدبية وعلمية وفنية واجتماعية في صدر الإسلام وحتى منتصف القرن الهجري الأول دخلتها مصطلحات دينية لا حصر لها ، اكتسبت بها دلالات خاصة لم تكن موجودة من قبل . وفي العصر الاموي تشعبت العربية بمصطلحات أدبية ولغوية جديدة ، واشتغلت بموضوعات علمية وثقافية حديثة . وفي العصر العباسي بلغت قمة مجدها ببلوغ الحضارة العربية أوجها المشرق ، ودخلتها آلاف المصطلحات العلمية الجديدة من الفلسفة والطب والعلوم الفلكية والفيزيائية والرياضية وغيرها . وأصبحنا نسمع لأول مرة ألفاظا مثل : صيدلية وتشريح ونبض وهضم ومبردات وقارب وتشنج وبنج وهبولي وقاموس وقانون وجبر وتربيع وتدوير ، وغير ذلك مما لم تعرفه العربية في العصر الاموي . (٣١)

ومع نمو الثقافة العربية الإسلامية فرقت اللغة العربية نفسها كلغة عالمية ، حتى إن روجر بيكون م ١٩٤١ هـ كان يتعجب من الرجل يريد البحث في الفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية . (٢٢) وظللت اللغة العربية برغم انحدار مستويات الحضارة في عصور الفتن والاضطرابات والانقسامات السياسية والذهبية ، تحتفظ بمكانة وظيفية في بعض المراكز الحضارية التي واجهت تحديات الضعف السياسي في العالم الإسلامي . فاللغة انتعشت في مصر التي أصبحت مقر الخلافة ومنبع العلم ومصدر الفن وقلعة الجهاد ، وهذا ما شهد به ابن خلدون ، وجعل منها " أم الدنيا " ، فالمعاليم مع هجيشه العسكرية أبقوا لمصر ماتتمنع به من ثقافة وحضارة ، وبموجب قنوصه الغوري (آخر المعاليم) ودخول العثمانيين في مصر وهم أكثر همجية من المعاليم لا يعرف فيهم الأستاذ من الغلام " على حد تعبير المؤرخ المصري ابن إيس (٢٣) بدأ المون أو الانحطاط في عالم اللغة والثقافة . وأخذت سياسة التجهيل التركي تعمل عملها في تأخير العالم العربي ودحر ثقافته . نهببة المخطوطات وسرقت من خزانة المساجد والمكتبات العامة ونقلت إلى الأستانة . وفرضت اللغة التركية كلغة رسمية حكومية إدارية ، وانتشر الظلم وساد معه ظلامه الفكرى والمعنوى ، حتى إن الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر قبيل الحملة الفرنسية (١٧٩٨) شهدوا بمون مصر . ويعبر عن الموت اللغوى إبراهيم اليازجي بقوله : " إن العرب كانوا عاجزين عن

تسمية الأشياء التي تحيط بهم " . ويكتفى أن نشير إلى حقيقة ذلك بما نراه من عجز أزهري مثقف ومستنير كالشيخ رفاعة الطهطاوى حيث لم يجد كلمات عربية معروفة أو شائعة لمصطلحات أجنبية جاءت بها الحضارة الغربية التي عايشها في باريس من أمثال " المسرح ، والمطعم ، والميثاق " فيينطبقها بأصولها الإفرنجية ويدخلها في كتاباته المترجمة "التيارات ، والرسورات ، والشرطة " .

وكان لابد من حركة إحياء لغوى تماش حركة الإحياء الثقافى والنهضة التعليمية التي أدخلها محمد على وحفيده [سامعيل باشا في مصر ، ومن مظاهر هذه الحركة :

١ - جهود مشايخ الازهر في إعادة الصياغة العربية لترجمات المحاضرات العلمية لأساتذة المدارس الإيطاليين والفرنسيين . وقد اتبعوا مناهج اشتقاقية وتعريفية وتكيفية . وكان لهم جهد بارز في بعث آلاف الكلمات العربية القديمة التي عرفتها لغة الحضارة أيام العباسيين في بغداد والفارطين في مصر والأمويين في الاندلس ، وقد وضعوا معجما لغويًا في الطب ضم وحده ستة آلاف مصطلح فنى عربى في هذا المجال المتخصص .

٢ - جهود المثقفين من أصل سوري / لبناني المتشبعين بالثقافة الفرنسية . وقد لعبوا دوراً كبيراً في نشر لغة عربية فصحى ، ميسرة عصرية ، منهم فارس الشدياق م ١٨٨٧ ، بطرس البستاني م ١٨٩٦ ، إبراهيم اليازجي م ١٩٠٦ ، لويس معلوف م ١٩٤٦ ، يعقوب صروف ، فرح أنطون . وقد عملوا بالصحافة فجددوا في الأساليب ، وعالجوا موضوعات جديدة ، واحتزروا كلمات حديثة . وكان لهم تأثير بارز في اللغة العربية المصرية ، وقلدهم كثير من المصريين . (٣٤) وارتبطت بالصحافة المصرية (وكان لها رواج عظيم وتأثير كبير . (٣٥) " لغة ثالثة " لا هي بالفصحي المعقدة وكلماتها الحوشية أو الغربية ، ولا هي بالعامية المبتذلة ، ولكنها لغة سلسلة طيبة تحافظ على فصاحتها ، وتكشف بيسر عن معاناتها لأنها مألوفة ومفهومة عند الجماهير . ونرى أدباء مثل توفيق الحكيم ، وأحمد باكثير ، وأنيس فريحة وغيرهم قد عملوا بجد من أجل إثبات قدرة

العربية على مجازاة روح العصر علمياً وحضارياً ، وابتكرت أسلوب لغوية تخلص الفصحى من أشكالها وقوالبها القديمة مع إخضاعها لقواعد اللغة ورمانة استخدامها . وروايات مسماً جحا ، والدنيا فوضى لباكثير ، والصفقة للحكيم ، تشهد بذلك الجهد المؤثر والذى لقى تأييداً واسعاً بين جمahir المثقفين وأوساط الصحافة . وتبني مجمع اللغة العربية هذا الأسلوب للتقرير بين الفصحى والعامية . (٣٦)

٢ - خلق منشآت وأدوات ثقافية عززت من تيسير العربية الفصحى ونشرها بين الناس ومنها مطبعة بولاق بفضل محمد على (١٨٢٢) ، دار الكتب بفضل على مبارك عملت على جمع المخطوطات وتسجيلها وتنبييبها وتحقيقها ونشرها وتيسير قرأتها ، إحياء التراث عن طريق وطبع وتحقيق وشرح كتبه ، مجمع فؤاد الأول للغة العربية بواسطة الملك فؤاد (١٩٣٢) ووضع معجم حديث ، الجامعة الأهلية (١٩٠٨) ، فالجامعة المصرية (١٩٢٥) أو جامعة فؤاد الأول وما تلاها من جامعات مصرية وعربية ، الأندية الثقافية والصالونات السياسية والأدبية ، والاجتماعات الخطابية ، وقيام أحزاب وطنية ، وغير ذلك من مؤسسات وهيئات وتنظيمات تتخد من اللغة أداة تعبير واتصال وإنتاج .

ومنت اللغة العربية بخطوات انتقالية في مسلك تطورها من تحجر وحشية وأسلوب مشغل بالمحسنات اللفظية ، إلى تضخم لفظي ومبالغة إنشائية بحيث تتجاوز الكلمات دلالتها الحقيقة وقيمتها الموضوعية ، إلى كلاسيكية شرقية بنبل المعنى وأصالة اللفظ وقوة التعبير ، إلى لغة وسطية سهلة أو ميسرة . وأصبحت اللغة أداة الخطبة السياسية والمعاصرة الجامعية والحديثية الإذاعي ، كما كانت دائماً أداة الخطبة الدينية . وأشرقت بها الرواية والقصيدة والمقالة . وما حدث في مصر كان له مثيل مشابه أو مقارب في الدول العربية التي سارت بخطى حشينة في سبيل النهضة والرقي .

ومع ذلك فهناك عقبتان تحدان من آثار هذه النهضة الثقافية التي ترفع معها النهضة اللغوية ، وتمثلان في : انتشار الأمية ، وشروع العامية ، والأمية والعامية آفتان مسئولتان عن ضحالة الثقافة الجماهيرية أو الشعبية . ولن تروج نهضة ثقافية بدون نهضة لغوية .

فاللغة كما يقول الأنثربولوجيون هي التي تحدد مفاهيمنا وعلاقتنا
وسلوکنا وأفكارنا . ولديه العيب في لفتنا، إنما العيب فيينا ونحن
المقصرون في حقها ، فالعربية كما يقول أحد زكي : " ليست لغة
متخلفة ولكنها لغة أمة متخلفة " ، أو كما يقول زريق : " إن أزمة
العربية هي أزمة الحضارة العربية " ، وأسباب ضعفها كامنة في ضعفنا
الثقافي والتعبيرى . (٣٧)

وأخيراً لكي تحدث ثورة ثقافية فإنّه لابد من ثورة لغوية ومن تم
فيان للمثقفين دوراً في إنشاء أرستقراطية لغوية .

٤ - النشاط التجديدي في اللغة لعلماء مصر الذين بعثوا للتعلم في الخارج
أو اضطربتهم الظروف للإقامة في الخارج وقد عادوا بشقاقة وعلوم ومناهج
حديثة أسلحتهم بجهدهم في إحياء العربية . فالطهطاوي ١٨٧٣/م أنشأ
مدرسة الالسن واشتغل بالترجمة وعمل على تبسيط النحو ، وتحرير النسخة
العربية من " الوقائع " في ١٨٢٨ وأشرف على مجلة " روضة المدارس " ^{٣٨}
والتي نشأت في ١٨٧٠ بفضل على مبارك وكانت حافلة بموضوعات جديدة لها
أسلوب عصري شيق وجذاب ، وكان أسلوبه نموذجاً أثر في كتابات غيره
وأهم خصائصه : " اختيار كلمات دالة على مقاس معانيها ، وبعد عن
السجع والتتكلف البديع ، وعمل ملحق معجمية لكتب متخصصة ، حتى تفهم
بكل دقة معانى المصطلحات العلمية أو الفنية . والشيخ محمد عبد
م ١٩٥١ نمى فن كتابة المقال الصحفى وما يتضمن من نماذج وتعابير
وأشكال عرض ، وعمل بالتدريين في دار العلوم فأحيا العربية والأدب
والعلوم الدينية ونعاها بمفاهيم ثقافية نقدية تحليلية اجتماعية . (٤٠)

٣ - أرستقراطية لغوية معززة :

إن الأرستقراطيات كشريان أو طبقات لها وجود بارز في المجتمع ، تلعب
دوراً كبيراً في ترقية الأدوات العلمية والأدبية والفنية ، لأنها بما لها من
ثقل سياسى واقتصادى وحضارى ، تصبح في موضع الجاذبية والتأثير ، وتكون
متبوعة ومقلدة في صفاتها وطباعها واهتمامها وتعاملاتها .

وليس بالضرورة أن تكون الصفة عسكرية الطابع ، وتمثل أصحاب السلطة والحكم ، فالصفوات المتنفذة في المجتمع لها أوضاع متنوعة قد تضم السياسيين أو العسكريين أو الإداريين أو المهنيين الأحرار ، أو التجار الكبار ، أو الرأسماليين الصناعيين ، ولكن الذي يربط بينها جميعا هو رباط الثقافة الرفيعة والتي تؤثر بها في المجتمع كتقاليد وعادات وأساليب حياة .

وقد كانت للصفوات أو النخب العربية الحاكمة فضل رعاية وحماية الآداب والعلوم والفنون ، وكانت اللغة العربية معها في حالة ازدهار على نحو ما أشرنا إليه من قبل ثم حلت محلها صفات اجتماعية أو غير عربية اهتمت بلغاتها على حساب العربية .

وقد استردت الصفة الفارسية زعامتها في البلاد الشرقية الإسلامية ، وكان ذلك بفضل سلاطين وشعراء وأدباء وعلماء ، وبدأوا مع القرن الخامس عشر يتعاملون مع الفارسية كلسان حضارى يزامل العربية إن لم تكن له القدرة الكاملة على إبعادها من كل أرض فارسية .

ثم شاء القدر أن تقوم دولة آل عثمان ، وتحكم بلاداً إسلامية متعددة وتنشأ بكل منها صفة تركية كان لها لسانها القومى الخاص . وكانت الأرستقراطية التركية الحاكمة في مصر تقوم على اللغة وليس على الجنس ، فهي تضم عناصر من أصول آسيوية تركية وشركسية وتركمانية وغيرها ، وكانت أسرة محمد على التي تبعتها تركية بتقاليدها وعاداتها . وقد المصريون هذه الأجناس في اتخاذ التركية لغة إدارة ولغة صالونات واتصال مع أفراد الشرائح المميزة ، وانكمشت أمامها اللغة العربية وتحولت إلى مجرد لهجة متقدمة ينطق بها الأزهريون .

ومع انكسار الموجة الحضارية في عهد محمد علي وحفيده إسماعيل ، فإن العربية لم يقدر لها أن تسترد مجدها الاجتماعي إذ سرعان ما جاء الاحتلال البريطاني وقامت الأرستقراطية الإنجليزية معززة لسانها كلغة حكم وإدارة وثقافة ونافست اللغة الفرنسية التي ظلت تحتفظ بمناطق نفوذ في مدارس أجنبية وبيوتات مصرية .

وحوربت اللغة العربية في ذاتها وفي أهلها الذين يتكلمون بها ، وأصبحت عند هؤلاء الاستقلاليين لغة جهل وتخلف ونفر . ولهذا كانت الصفة في مصر وهي من عناصر عرقية أو جنسية مختلفة تركية وفرنسية وإنجليزية ويونانية وأرمنية وإيطالية وشامية ذات نزعة متفرنجة ، وغيرها ، تتكلم بالسنة أجنبية .^(٤١) وكان الحديث باية لغة غير العربية علامة رقم اجتماعي وثقافي واقتصادي وإداري . وقد توجع الوطنيون من المصريين للحال المزرية التي آلت إليها اللغة العربية ، حتى إن الشاعر حافظ إبراهيم الف قصيدة عنوانها " اللغة العربية تنعم نفسها " . ونشطة الوطنية المصرية في اتجاه معاكِس يعمل على الاعتزاز باللغة ، ويحاول فرض تدريسيها بالمدارس المصرية . وكان النديم على رأس هؤلاء الوطنيين الذين هاجموا المتآذبين من دعاة التفرنج الذين يتكلمون آية لغة إلا لغتهم القومية " العربية ".^(٤٢)

وقد نجح على مبارك بقرار صدر في ١٨٨٨/١١/٢٩ بجعل العربية لغة التدريس بدلاً من التركية . ولا تدرس التركية إلا بوصفها لغة اختيارية ، وفي أوقات الراحة المدرسية .^(٤٣) ونظراً لمعاكسة الاحتلال البريطاني ، فقد عوق هذا القرار في مجال تنفيذه وإن كانت الإنجليزية هي التي حلّت محل التركية . ومع فوران العز الوطني ، وانتشار الوعي ، أصدر سعد زغلول (وكان وزيراً للمعارف العمومية) قراراً وزارياً في ١٩٠٧/١٢/٢٤ م يجعل تدريس كل المواد باللغة على أن يكون تدريس اللغات الأخرى بصفتها أجنبية وليس لغات تعليم وتحاطب .^(٤٤)

وتدرج الوضع التعليمي : في عام ١٩١٢ م يصبح التدريس بالتعليم الابتدائي في كل المواد باللغة العربية ، واكتسب التعليم الثانوي هذا الحق في عام ١٩١٥ .^(٤٥) وتقلصت دوائر اللغات الأجنبية حتى جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ وتم تمصير التعليم وسادت العربية كلغة علم وتعلم ، وفرض تدريسيها في المدارس الأجنبية التي خضعت لإشراف وزارة التربية والتعليم في مصر ، ولم يعد لها النفوذ الأدبي الذي كان لها قد يدا ، وللأسف فإن ذهاب وضعف الاستقلاليات اللغوية (التركية والفرنسية والإنجليزية) لم يفتح المجال لقيام أستقلالية لغوية عربية على النحو المرغوب ، فالحكام والإداريون والفنانون والمبرذون في المجتمع المصري لا يشعرون باعتزاز

ثقافي عربى ولا يحرضون على إجاده اللغة والسمو بها تعبيراً وابتكاراً وتائيراً ، ويتركون هذه المهمة لخريجي الأزهر ، أو لمدرس اللغة العربية ، ومن ثم فالصورة المصرية لا تكون طبقة لغوية ملهمة بأساليبها وفنون تعبيرها .

٤ - تقليع اللهجات وتحجيم العاميات :

مع سيادة وشيوخ اللغات القومية فإن عدداً من اللهجات أو العاميات تعيش في ظلها ولكن دون القضاء عليها . فاللسان العربى في عهود الازدهار الحضارى لم يمنع وجود لهجات أو لغات محلية أو عامية يتحدث بها أهلوها في بيئاتهم واستعمالاتهم الخاصة . والإنجليزية الأدبية التي يتكلم بها كل مواطن إنجليزى لم تمنع وجود كوكنية Cokeny ينطق بها الكثيرون في شوارع لندن . كما أن استخدام لغات خاصة ببلاد ويلز وأسكتلندا وإيرلندا لم يقف على اللغة الإنجليزية الأدبية كلغة قومية عامة لها احترامها وتقديرها عند الخاصة وال العامة من الإنجليز . (٤٦)

كذلك فإن الفرنسية الأدبية التي يتحدث بها الباريسيون لم تمسح لهجات فرنسية أخرى يتحدث بها الناس في منطقة بريطانيا Britagne أو الألزاس .

ولكن الأمر يختلف مع العربية الفصحى ، لأننا لا نتكلّمها كلغة سليقة ، يأخذها الأطفال عن أمهاطهم بشكل تلقائي أو امتصاص لتصبح العربية بالنسبة لنا هي "لغة الأم" Langue maternelle ، إننا نتعلّمها بشكل مدرسي شأنها شأن اللغات الأجنبية ، مما يستدعي وقتاً وجهداً ويتلاشى معه أثر التعلم أو يصبح ناتجه قليلاً لأن الوسط البيئي بكل مؤثراته الاجتماعية لا يتعامل إلا مع لهجة عامة قاهرية ، أو لهجات محلية متعددة تصرفنا عن إجاده العربية .

ومع أن هذه اللهجات ليست غريبة على العربية الفصحى إذ تنتصل بها وتنحدر منها (فيما عدا لهجتي النوبة وسوية) ، إلا أن الاختلاف بينها وبين العربية أعطى لغتنا القومية وضع اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية ، ونجد صعوبة في تعلّمها سواء من حيث الكلمات أو التراكيب أو النطق .

ولهذا فقد قامت محاولات تدعو إلى استخدام العامية لغة تعلم وتعليم كما هي لغة حياة واستعمال يومي . وتكاففت دعاوى مغرضة لفقها المحتل الأجنبي ، ونفر من المستشرقين ، والمتآوربين أو المتفرنجين من المصريين تعلى من شأن العامية وتحط من قدر العربية .

في مؤتمر استوكهلم ١٨٨٩ رفع أمين باشا فكري حجج المستشرقين في استخدام العامية بدلاً من العربية .^(٤٧)

والسلطان البريطاني ادعى أن العربية لغة متخلفة لم تعد قادرة على التكيف مع معطيات العلم والحضارة في عصرنا الحديث ، وفرضت العامية في الكتابيب والإنجليزية في المدارس .^(٤٨) وكان كرومر عميد الاحتلال البريطاني في مصر رائداً لحركة مقاومة العربية واتهامها بالتخلف ، لقد أورد عبارة لبانى مصر الحديثة محمد على الذى كان يصر على تعليم العربية فى مدارسه ويقول : " إن علمًا لا يدرس بالعربية يجب إلا يعلم أبداً " ، ويتهكم كرومر قائلاً : " إن مدارس كثيرة قامت بمصر وتقدمت إحصائيًا ولكنها لم تتقدم عمليًا . إن باشوات مصر يريدون التقدم نظريًا ويخالفونه عمليًا ، فالمدارس لا تعلم الثقافة الحديثة في لغاتها الأصلية القادرة على حمل المعرفة ".^(٤٩)

ووجد مصريون أو متعمرون مشائعون لهذه الدعوة . فقد كتب محمد عثمان جلال م ١٨٩٨م في " أبو نظارة " بالعامية وشاعت كتاباته ووجدت أنصاراً ، حتى ألف بالعامية رواية كان لها رواج وانتشار .^(٥٠)

ويدافع غالى شكري عن العامية المصرية باعتبارها القالب اللغوى القادر على استيعاب الظاهرة الشعورية المرتبطة بالروح المصرية ، والناقل للتراث الفنى في شكل يتناسب لحساسية شعبنا أكثر من العربية .^(٥١) وقد سبقه سلامه موسى بهذا الادعاء ، مقرراً أن ثقافتنا هى نتاج بلدنا وثمرة ذكائنا ، ومن ثم فالعامية هي لغة ثقافتنا وذكائنا وتعبر بحساسية ورهافة عنهم ، وتختلف في ذلك كثيراً عن العربية الكلاسيكية ، ويجزم بأن ذاتيتنا المصرية سوف تشجب وتذبل إذا هى اختلطت مع الثقافات الأخرى التي لا تترجم تماماً حقيقة وجودنا وحياتنا .^(٥٢) ونادى بجعل العامية لغة مصر الوطنية بكل أبنائها .

ولكننا لم نعد وجود أصوات قوية تفند هذه الدعاوى المتهافة ، حدث ذلك في ندوة دار العلوم التي انعقدت في فبراير ١٩٠٨ لتسقط كل حجج أنصار العامية . كما أن العقاد فضح دعوة العامية ورأى أنهم من فنتين : " إما شيوعيون يتملقون الشعب باستخدام لغته ، وإما مبشرون دينيون يحتقرن العربية ويبحثون في الواقع عن أدلة وسبل لمحى كل قيمة للقرآن والإسلام " (٥٣)

ولكن يقف دون الرقى بالعربية وتوسيع قواعد و مجالات استخدامها ما سبق أن ذكرناه من عوامل كبيرة سياسية وثقافية واجتماعية وتربيوية .

لقد وجدنا حكاماً لا يستخدمون في خطبهم وأحاديثهم إلا العامية أو اللهجة المحلية ، والناس على دين ملوكهم ، والإذاعة والسينما والمسرح والصحافة تشيع فيها العامية أكثر من العربية . والمدرسون في مدارسهم لا يتكلمون إلا بالعامية ، حتى إن مدرس اللغة العربية لا يحترمون وظيفتهم ومسئولييتهم ، ولا يتكلمون بالعربية إلا عند القراءة النصية في دروس الأدب أو النحو أو المطالعة . والناس في الشوارع لغتهم هي العامية . والأسر في البيوت لا تجيد إلا لغة الأم العامية ، فكيف نخلق الفروض والحوافز لتعلم العربية والحرص على استخدامها سواء في مجالات التعبير الكتابي أو الشفوي ؟ .

واخيراً :

فإن النهوض باللغة العربية مسألة قومية يجب أن تبرز في برامج العمل السياسي للطبقة الحاكمة ، وخطط التنمية الاجتماعية والثقافية ، كما يجب أن تناط بكل مؤسسات الدولة ، وتعباً من أجلها كل الجهد .

وللمثقفين من علماء وأدباء وفنانيين مسؤولية أدبية في تدعيم أرستقراطية لغوية تؤمن بقومية اللغة وأهميتها في تكوين الذاتية الثقافية العربية ، وتعبر على خلق نماذج لغوية مشرقة بمعانٍ لها ومؤثرة بأساليبها ، وملهمة بجمالها وقيمها كتابة وكلامًا في كل مجال .

ولابد من تدعيم منشآت وعناصر الثقافة التي تعمل لرقي اللغة وتحقيقها أهلها من مكتبات عامة ومحليّة ، وأندية أدبية ، وجمعيات ثقافية ، وبرامج إذاعية وتلفزيّة ، وتهتم جميعها بنشر لغة ، تكون - مع نبلها ورقّيها وعدم ابتدالها - ميسرة وسهلة ومالوفة .

وحتى يتعرّز دور أساتذة ومعلمي اللغة العربية في المدارس والجامعات فإنه من الضروري الارتقاء بمستوى تأهيلهم ، ومساندة أعمالهم بتكنولوجيا تربوية متقدمة في مجال تعليم اللغة ، وخلق الوسط أو المناخ التربوي العام الذي يجعل من اللغة مسؤولية كل مرب ، مهما كان نوع تخصصه ، حتى تصبح اللغة لسان كل إنسان ينتمي إلى ثقافته وأمته ، ويجهّد في صنع نموه ومستقبله .

المراجع والتعليقات الهاشمية

- ١ - أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر . م - ، (تحقيق د. ابراهيم الكيلاني) ، دمشق مكتب أطلي وطبعه الأنثاء ، د.ت . ص ٦٩٣ .
- ٢ - ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، ص ٣٧٩ .
- ٣ - عبد القادر بن مصطفى المغربي ، كتاب الاشتقاء والتعريب ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط - ٢ ، ١٩٤٧ ، ص ٦ .
- ٤ - ياقوت الرومي ، كتاب إرشاد الاريبي إلى معرفة الأديب ، المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء ، ج - ١ ، نسخ وتحقيق د. س ، مرجليون ، القاهرة مطبعة هندية ، ط - ٢ ، ١٩٢٣ . ص ٨ .
- ٥ - عبد الحفيظ الكتايني ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيس الإدارية ، ج - ٢ ، حسن جعف الناشر ، د.ت ، ص ٣١٥ .
- ٦ - الجاحظ ، بيان والتبيين ، ج - ٢ ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط - ٤ ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٩ .
- ٧ - ابن مفلح ، الأداب الشرعية والمنج المرعية ، ج - ٢ ، بيروت ، دار العلم للجميع ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٨ .
- ٨ - كارل بروكلمان ، في د. صلاح الدين المنجد ، المتنقى من دراسات المستشرقين ، ج - ١ ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٦ ، ص ٢٠٤ .
- ٩ - حيدر بامات " ج ديفوار " ، مجالى الإسلام (مترجم) ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية للحلبي ، ١٩٥٦ ، ص ٩٣ .
- ١٠ - أ.ج. أربري ، (بإشراف ومشاركة) ، تراث فارس (مترجم) ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٩ ، ص ٢٥٨ .
- ١١ - كارل بروكلمان ، مراجع سابق ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
وكتابة كذلك ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، (مترجم) ، بيروت ، دار العلم للملائين ، ط - ٧ ، ٣٧٢ .
- ١٢ - ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، بيروت ، دار كتب الحياة ، (د.ت) ، ص ٢٥٣ .
- ١٣ - أ.ج. أربري ، مراجع سابق ، ص ٢٤٨ .
- ١٤ - المراجع السابق ، ص ٣٧٢ .
- ١٥ - كارل بروكلمان ، في د. صلاح الدين المنجد ، مراجع سابق . ص ٤٨٦ .
- ١٦ - ابن طالون ، محاكمة الغلآن في حوادث الزمان ، القسم الثاني ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٢ ، ص ٣١ .

- ١٧- المعji ، خلاصة الآثر في أعيان القرن الحادى عشر ، ج - ٤ ، بيروت ، مكتبة خياط ، (د.ت) ، ص ٣٢٧ .
- ١٨- مجلة المنار ، مجلد ١٢ ، جزء ٧ ، عدد ١٩٠٩/٨/١٦ ، ص ٥١٠ - ٥١١ .
- ١٩- ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٣٨٠ .
- ٢٠- رحلة ابن بطوطة ، باريس ، الجمعية الآسيوية ، المطبعة الامبرالية ، م - ١ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٨ .
- ٢١- ابن منظور ، لسان العرب ، م - ١ ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت .
- ٢٢- المقدس ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، مطبعة بريل ، ط - ٢ ، ١٩٠٦ ، ص ١ .

٢٣- Wiet G., *Précis de l'histoire d'Egypt* T.II, le Caire, Institut Francais d'Archeologie Orientale du Caire, 1932, p. 199.

يبرهن المؤلف على وجود بقايا لهذه اللغة القبطية حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، فيذكر انه باستيلاء ملاح الدين الايوبي على مصر وفرق سلطنته عليها ، حدثت في جنوب مصر قلائل وثورات معادية قام بها بنو الكنز في قوص وأسوان ، وكانوا خاضعين لتأثير الدعائية الفاطمية ، فأرسل صلاح الدين أخاه نوران شاه فقههم وأرجعهم إلى ابريم في ٥٦٨ هـ . ونفخت كتابة باللغة القبطية على إحدى المقابر في مواجهة أسوان تؤرخ لهذه الحملة .
المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

- ٢٤- حيدر بامات ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، وانظر كذلك - يوسف شحت ، "ثلاث محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي" في د. ملاح الدين المنجد ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .
- ٢٥- د. سهير القلماوي ، د. محمود على مكي ، في آثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبيية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢ - ٣٣ .
- ٢٦- ليلى بروفنسال ، الحضارة العربية في إسبانيا ، (ترجمة د. الطاهر أحمد مكي) ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ص ١١٣ .
- ٢٧- المراجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢٣ .
- ٢٨- عبد القادر بن مصطفى المغربي ، مرجع سابق ، ص ٢١ .
- ٢٩- المعاوردي ، كتاب نصيحة الملوك ، مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس ، تحت رقم ٢٤٧٧ ، ورقة ٤٨ وجه .
- ٣٠- عبد القادر بن مصطفى المغربي ، مرجع سابق ، ص ٩ .

- ٣١- أحمد فريد رفاعي ، عصر المأمون ، م - ١ ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧ ، ص ١٦٥ .
- ٣٢- د. عمر فروخ ، عقيرية العرب في العلم والفلسفة ، بيروت ، ط - ٣ ، ١٩٦٩ ، ص ٩٦ .
- ٣٣- ابن إيمان ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ، دار أحياء الكتب الشعبية ، ط - ٢ ، ١٩٦١ ، ص ١٦٥ .

Musa (S.) The Education of Salama Musa, Leiden, ٣٤
E.J.Brill, 1961, pp 38 - 42.

Duraselle (J.B.) "L'Egypte Contemporaine" in Charles H., et Pouthas, Histoire de l'Egypte depuis la Conquete Ottomane, Paris, Hachette, 1948, pp. 166-167

نهضت الصحافة في مصر منذ ١٨٨٢ وكانت لغتها تخطيط الجماهير بشكل مباشر بسيط ومحسن ، وسايرت الأحداث الكبرى على اختلاف أنواعها ونمت معها وقد وجد في ١٩٣٧ مائتى صحيفة يومية في القاهرة ، ولقد عدنا منها في ١٩٤٨ ٤٥٥ صحيفة يومية ، منها ١٠٢ صحيفة باللغات الأجنبية (مرجع السجل الثقافي) . وما يبرر هذه الكثرة من الصحف أن جميع الهيئات السياسية والدينية والأدبية والاجتماعية والثقافية والفنية كان لها اهتمام كبير بالصحافة واشتغلت بها كآلية معايرة أو كتابة خاصة لها .
وانظر السجل الثقافي ١٩٤٨ ، القاهرة ، مكتبة الحلبي ، ١٩٤٩ ، ص ٩١-١١٠ .

٣٦- انظر طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، القاهرة ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ط - ٢ ، ١٩٤٢ ، ص ٢٢٦ - ٢٤٢ .
وابراهيم مذكور ، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، م - ١ ، القاهرة ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٤ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

٣٧- أحمد زكي ، محللة العربي ، عدد ١٤٥ ، ديسمبر ١٩٧٠ ، ص ٨ - ٧ .
وقسطنطين زريق ، " وحدة مشكلات الوطن العربي " في أسس التربية في الوطن العربي ، القاهرة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٦٥ ، ص ١٢٥ .

٣٨- د. زكي نجيب محمود ، تحديد الفكر العربي ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٧١ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

٣٩- د. جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥١ ، ص ٢٠ .

٤٠- د. إبراهيم مذكور ، مرجع سابق ، ص ١٣ - ١٤ ، وانظر كذلك مجلة المنار ، م - ١٠ ، ج - ١ ، عدد ١٤٠/٣/١٩٠٧ ، ص ٨٥٦ - ٨٥٧ .

Lacouture (J.), Nasser, Paris, Seuil, 1971, p.25.-٤١

٤٢- انظر الخادم ، الأزياء الشعبية ، القاهرة ، المكتبة الثقافية ، عدد ٤٩ ، نوفمبر ١٩٦١ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

٤٣- يبدو أن هذا القرار مستلهم على غرار اللائحة الفرنسية لسنة ١٨٢١ والتي تنص على أن تدريس اللغات الأجنبية لا يكون إلا بناء على حاجة ملحة للأباء وفي أوقات الراحة المدرسية . انظر :

Buissar (F.) Dictionnaire de Pédagogie et d'instruction Primaire , Paris, Hachette, 1911, p. 961 .

Lacouture (Jean et Simone) , L'Egypt en mouvement , -٤٤ Paris, Seuil, 1962, p. 324 .

٤٥- انظر - العقاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، القاهرة ، مطبعة حجازى ، ١٩٣٦ ، ص ١٢٠ .

وانظر كذلك : Zulficar (S.) , L'imperialisme britannique en Egypt 1882 - 1914 , Paris, F.N.S.P., 1966, p. 162.

وانظر كذلك : حربى والزاوى ، تطور التربية والتعليم في القرن العشرين ، القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٥٨ .

٤٦- انظر : محمد إسماعيل ، "الشعر بين المحلية والقومية" في مجلة الفكر ، السنة ١٧ ، عدد ٩ ، يونيو ١٩٧٢ .
وانظر : كذلك بنت الشاطن ، تعليم العربية ورأي في أزمنتها اللغوية في مجلة الرائد ، السنة ١٨ ، عدد ٢ ، مارس - ابريل ١٩٧٣ ، ص ١٤ .

٤٧- انظر : محمد أحمد ، "دور اللغة العربية الفصحى في القومية العربية" في أس التربية في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص ٨٥ - ٩٥ .

Dunn (H.) , An Introduction to the History of Education in Modern Egypt , London, Luzac & Co. 1938, p. 442 .

Fyfe (H.) , The New Spirit in Egypt , Edinburg and London, William Blackwood and Sons, 1911, pp. 164-165.

Sammarco (A.) , Precis de l'histoire d'Egypte , T.IV, -٤٩ Roma, 1935, XIII, Institut Poligrafica della Stata, G.C., p. 312.

وانظر كذلك : Dunn (H.) , op. cit., p. 345.

ولقد كان عمر الدسوقي أستاذ الأدب الحديث بكلية دار العلوم يتهم عثمان جلال في تشجيعه للعامية بأنه كان يمالئ الإنجليز في حربهم ضد اللغة العربية ، إذ أنه لم يكن عاجزا عن الكتابة والتعبير بها ، لقد كان يكتب بالفصحي في أيام الخديو إسماعيل .
عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، ج - ١ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٣٥٤ ، ط - ٣ ، ١٩٥٤ ، ص ٩٤ .

- ٥١- غالى شكري ، أدب المقاومة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ ، ص ٣٥٤ .
- ٥٢- سلامة موسى ، الهلال ، اول يوليو ١٩٢٦ .
- ٥٣- عباس العقاد ، يسألونك ، القاهرة ، لجنة البيان العربى ، ١٩٤٦ ،
ص ٣٧ - ٤١ .